غُرف حنين

نسرين البخشونجي

غُرف حنين / رواية

نسرين البخشونجي

الطبعة الأولى ، ٢٠١١

OKTOB.NET

دار اكتب للنشر والتوزيع

القاهرة ، ١٠ ش عبد الهادي الطحان ، المرج

موبايل : ٠١١٠٦٢٢١٠٣

E – mail : dar_oktob@gawab.com

المدير العام :

يحيى هاشم

تدقيق لغوي :

محمد علي

رقم الإيداع : ٢٠١٠/٢٤٥٤٠

I.S.B.N:٩٧٨- ٩٧٧- ٦٢٩٧- ١٠٧- ٧

غُرف حنين

نسرين البخشونجي

رواية

الطبعة الأولى

٢٠١١



دار اكتب للنشر والتوزيع



إهـــــداء

إلى محمّد...زوجي

لن أضلّ الطّريق ما دمت معك

إلى أستاذاتي اللاتي رحلن هذا العام ،بعدما التهم ذلك المرض اللّعين أجسادهنّ:

١. "أمل" مدرّسة الموسيقى

٢. "ثناء" مدرّسة اللّغة العربية

٣. و"زينات" مدرّسة اللّغة الإنجليزية



بداخلنا جميعًا غرف حنين، ووجوه لا يعرفها سوانا



الغرفة الأولى

انطلقتْ فجأة ،وبسرعة هائلة خارج الغرفة، بعدما وقعــت عيناها على جسدها وقد أصبح كقطعة ثلج، ظلّت تتحــرّك في الغرفة بهستيرية... تنظر إلى كل شبرٍ فيها، أصابتها حالة مــن الخوف الرّهيب... هي تسمع وترى كلّ شيء حتّى جسدها، رأت الملتفّين حولها.

كان طريقها طويلًا، نفق أنبوبي مظلم... في آخــره تمامًــا يكمُن النّور، ذلك الذي يتخلّل لونه ناصع البيــاض خيوطًــا شعاعية ذهبية، ضوء بللّوري لا يشبه أيًّا ممّا رأتهُ في حياتها.

هنا في ذلك المكان الجديد الذي وصلت إليه، يتعارفون دون كلام...

دون إشارة، هنا يقرأ الكلّ أفكار الآخر. يا لها مــن حيــاة سهلة وصعبة!... "ماذا لو فكّرتُ في شيء أريــده أن يبقــىً سرًّا؟" قالت لنفسها. التقت بأناس تعرفهم جيــدًا... تبــادلوا التّحية ،وسألوها متى انتقلت إلى هذا المكان؟... مــا كــادت تحكي لهم حتّى فاجأها صوت عميق بأنّ عليها العودة الآن إلى حيث كانت... فهي لا تنتمي لهذا المكان.

لم تستغرب عودتها لغرفتها وحيدة دون رفيق، لقد عاد كلّ شيءٍ كما كان.

آخر شيء كانت قد أحسّت به قبل أن تصل إلى المستشفى، هو انفجار نبعٍ من السّائل الأحمر السّاخن اللزج... التفَّ حولها عدد من الأطباء والممرضات... الجميع في حالة هلع يحـــاولون إفاقتها، مشغولين بإيصالها بالأجهزة.

سمعت أحدهم يقول:" إنّها لا تستجيب"، فأمره آخــــر:" بأن يحاول إنعاش قلبها من جديد".

"لا بدّ أنّي أحلم..." قالت لنفسها، لكنها انطلقت فجـــأة لعوالم أخرى.

لم تكن سرعتها فائقة، لذا بدا على ملامحهـــا الــذّهول... صرخت، ثمّ سمحت لسيّارتها بأن تحتـــضن الـــشّجرة العتيقـــة الموجودة على الجانب الأيمن من الطريق.

فإذا بها تسقط تمامًا على رأسها، ظنًّا منها بأنّ جرعة الحنان ستكون مباشرة وقوية... قال أحد الشهود على الحادثة حنين.

***

اليوم سيكون هناك شيء مختلف، هو بداية لتغيير تفاصـــيل حياتي اليوميّة المملّة.

"الحرملك... إذا كنتِ تبحثين عن الجمـــال، الاســـتجمام والحرّية نعدك بأكثر من ذلك"

شعوري بالوحدة لم يخفّفه نزولي اليومي للنّادي لممارســة الرّياضة ،أو حتّى المحادثات الليليّة التي اعتـــدت عليهـــا مـــع صديقاتي. الملل يلاحقني... حتى بيتي فقـــد الـــرّوح ،وصـــار كالبيت المهجور. فكّرت أنّ الخلاص سيتحقّق بلقـــاء بـــشر مختلفين، فتعلّمت الكمبيوتر ،وبُهِرْت بـــالانطلاق في فـــضاء الإنترنت اللّانهائي.

كانت برامج الدّردشة الصّوتية ومواقعها مـــلاذي، لكنّـــي بسنواتي التي تخطّت الأربعين لم أجد من يجـــاري رغبـــاتي... الغرف مشحونة بالبشر إلى حدّ الانفجـــار إلّـــا أنّ معظمهـــم مراهقون وأطفال، حتّى الكبار منهم طالهم سخف الانحصار في أحاديث جسدية. ازداد شعوري بأنّ شيئًا ما ينقصني.

خطرت على بالي فكرة المشروع..فاتّخذت قراري ،وأنهيت الإجراءات البيروقراطية السّخيفة، ثمّ أنشأتُ مجموعـــةً باســـم المكان، وحسابًا جديدًا على موقع "الفيس بوك" يحمـــل اســـم "الحرملك".

قضيت اليوم أشترك في مجموعات أخرى؛ كي أتمكّن مـــن وضع الرّابط الخاص بمجموعتي بعدما جهّزتـــه بـــالكثير مـــن

"الصور"، و"العنوان"، و"تفاصيل الفكرة". خلال ثلاثة أيام فقط كان عدد المشتركين فيه يقارب المائة عضو، بدأ الجميع في التعبير عن رأيه بالكتابة على حائط المجموعة ما بين مؤيِّد ومُعارض، بعضهم رجال لم ترق لهم فكرة أن يكون هناك فندقًا لا يستقبل سِوى النّساء. أمّا بنات حوّاء فلم يخفين إعجابهنّ بالمشروع، وطالبن بتعميمه في أرجاء البلاد ،حتّى يتسنّى لهنّ السّفر بسهولة.

- "ميادة خليل": "من اليوم لن يعترض والدي سفري إلى القاهرة دون رفقة أخي المملّة!... فكرة الحرملك تحفة".

- "أحمد ميدو": "أخشى أن تكون صاحبة المشروع من دعاة الوهّابية ،فمثل هذا المشروع يدل على توجّهاها!... فهي ضد الاختلاط على ما يبدو!! علينا محاربة هذا المشروع حتّى لا يتوغل كالعنكبوت بمجتمعنا!!!!..."

ثمّ ردّ عدد من أعضاء المجموعة على "أحمد ميدو":

"ندى عادل": "لا أعرف لماذا يقحم البعض الدّين في أمورٍ بعيدة عنه تمامًا؟!... ما المشكلة في أن يكون هناك مكانٌ يستقبل النّساء فقط؟! لماذا لم تنظر لها على أنّ الأمر يتعلق بالعادات والتقاليد ،أو بالشّعور بالأمان؟!... أعتقد أنّ الفكرة جيّدة بالفعل."

"ليلى إسحاق": "الفكرة رائعة جدًّا... وأعتقد أنّ "أحمد" لم يكلّف نفسه عناء البحث على الإنترنت... في "روسي"ا مثلًا هناك تاكسي للسيّدات فقط... هل تعتقد أنهم وهابيون؟!!!!!"

فردّ "أحمد ميدو" عليهنّ:

"أقطع ذراعي.. إن لم تجدوا هذا المكان أسلوبًا جديدًا لنشر فكر "محمد بن عبد الوهّاب"..عمومًا أنتم أحرار".

كان ما كتبه أحد الأعضاء الجدد فى المجموعة أكثر ما أثار غضبي ،حتّى أنّني لم أفكّر في الرّد عليه، واكتفيت بحذف ما كتبه بسرعة قبل أن يقرأه الأعضاء، بل وألغيت عضويّته في المجموعة.

"يوسف إبراهيم": "أريد أن أنبّه الجميع بأنّ هذا المشروع ربّما يكون وكرًا لممارسة "السّحاق"، حيث انتشر مؤخّرًا بصورة كبيرة، ألا تقرأن صفحات الحوادث في الجرائد؟! هذه نصيحتي، فأنا أخشى أن تنخرط بناتنا في هذا الفعل الشّنيع... و"الله" أنا خائف عليكنّ.!!"

قلت في نفسي:"ياله من شخصٍ سافل ووضيع... كيف يتّهمني دون أن يعرفني، فمشروعي معروف والجهات المختصّة على علمٍ به... كيف يجرؤ على اتّهامي هكذا؟ هل صار سوء

الظنّ بالأخرين سمة توغلت ،واستفحلت في نفوسنا دون أن ندري؟!"

بدأت أتلقى عددًا كبيرًا من طلبات الإضافة، ورسائل تحمل كمًّا هائلًا من الأسئلة، وإن كان معظمها يدور في نفس النّطاق: كم سعر الليلة؟! وكيفية الحجز؟ وأخرى تشجّعني على المشروع من الذين فضّلوا عدم الانخراط في مناقشاتٍ جماعية.

لم يكن هناك أي قيد للإقامة في "الحرملك" سوى أن تجتمع النزيلات على العشاء كلّ يومٍ إلّا في حالات الضرورة القصوى، فيمكن التنازل عن هذا الشّرط.

***

"الحرملك" فيلا صغيرة في حي "الزّمالك" الرّاقي "بالقاهرة"، لها حديقتان واحدة أمامية وأخرى خلفية، الدّور الأرضي به صالة استقبال كبيرة مقسّمة إلى ثلاثة قطع:

أنتريه حديث بلون أبيض، عليه خداديات متعدّدة الألوان، وإن كانت كلّها تدخل في نطاق الأزرق بدرجاته، بجوار الكرسي الأيمن منضدة مستطيلة موضوع عليها ثلاثة براويز خشبية، واحد فيه صورة "لحنين" وهي ترتدي ثوب العُرْسِ، يقف خلفها تمامًا عريسها ذو الملامح الهادئة ممسكًا بوسطها،

وآخر به صورة لطفلة تشبه "حنين" في ابتسامتها ،وهي تمسك بلعبتها الصّغيرة، وثالث كبير لفتاة مراهقة.

صالون فاخر مصنوع من قماش "الأبويسون الكحلي"، خلفه سفرة كبيرة بلون بني غامق تكفي لاثني عشر فردًا، وغرفة مكتب من جهة اليمين، وعلى الجانب الآخر مطبخ كبير مجهز بكلّ ما هو حديث، وحمّام صغير للضيوف.

في الطابق الأعلى صالة استقبال صغيرة نسبيًّا، بها كرسيان: فوتيه أخضر ومكتبة بها تليفزيون، دش ودي في دي، وأربع غرف نوم وحمّام.

أردت أن أرى أصنافًا من النّساء وليس بنات طبقة واحدة، لذا قرّرت أن أغيّر وأجدّد في محتويات المكان، فأعددت المكان على هذا الأساس بحيث تكون لكل غرفة من الثلاث سعرًا.

رغم أنّ صديقاتي اتهمنني بالجنون والهبل، وحاولن إبعادي عن تنفيذ الفكرة... لكن هيهات ،لن أتراجع أبدًا.

رن جرس الهاتف بعد عدّة أيّام، حين أجبت كانت على الخط سيّدة يبدو من صوتها أنّها شابة، تريد حجز غرفة لمدة أسبوع يبدأ من الغد. في الصّباح انتظرت على أحرّ من الجمر قدوم النّزيلة الأولى التي وصلت في الثّانية عشرة ظهرًا... كم كنت أشعر بالإثارة.

-" أنا سعيدة بك جدًّا يا كرمة، أنت أول نزيلة عندي لذلك لن أنساك أبدًا، هل تعملين؟ أعتذر عن سؤالي، فبطاقتك تحمل صفة طالبة رغم أنّك مواليد ١٩٨١.!"

قالت: "إنّها مشغولة جدًّا حتّى أنّها لم تفكّر في تغيير بطاقتها، وأنّها هنا في مأمورية عمل لمدة أسبوع، حيث تدير الشركة التي ورثتها عن والدها. كانت بشرتها خمرية بجسد ممشوق تمامًا كالتي نقشها الفراعنة على جدران معابدهم.!!

استأجرت الغرفة الأولى...تلك الغرفة الكبيرة، بها تليفزيون ودش، بالإضافة لإمكانية الاتصال بالإنترنت، ثلّاجة صغيرة وحمّام يشبه في فخامته حمّامات القصور، وسرير كبير يأخذ شكلًا نصف دائري.

الغرفة الثّانية

بعدما انتهيتُ من العشاء مع "كرمة"، عـــدت إلى غــرفتي، دخلت على الإنترنت، فوجدت طلب إضافة جديــدة علـــى برنامج "السكايب" - البرنامج الشهير الذي يستخدمه كثيرون للدردشة الصّوتية والمرئية - قبلته. كان الصّديق الجديد متّصلًا حينها.

-" مساء الخير سيّدتي، أنا "زاكي" من المغرب."

-" أهلًا زاكي، إنها أول مرة أتعرّف فيها علـــى شـــخصٍ مغربي ،أو حتّى من شمال إفريقيا... هل زرتَ مصر من قبل؟"

-" طبعًا أكثر من مرة... أنا من عشاق "مصر"، وأنتِ هل زرتِ المغرب؟"

-" للأسف لا، لكن زرت "تونس" قبل عدّة ســنوات... ــإن شاء اللهــ سأزور "المغرب" قريبًا مادام لي أصدقاء بها..."

-" تشرفينا سيّدتي في أيّ وقت."

كان يومي حافلًا، شعرت بإرهاق شديد ،فاعتـــذرت لـــه وأنهيت المحادثة. أخذت حمّامًا دافئًا... أشعلت شموعًا معطّـــرة

برائحة "الونيلا"، وموسيقى التركي "عمر فاروق" ،وأكملت حالة الهدوء بداخلي.

***

في الصّباح، خرجت "كرمة" وذهبت للنادي، مارست الرياضة، وقابلت بعض الصديقات ثمّ عادت قبل موعد العشاء - هكذا هي حياتي اليومية منذ خمس سنوات عادت "كرمة" بعدى بنصف ساعة تحمل شنطة مطبوع عليها اسم محل شهير، قالت لي: إنّها اشترت حذاءً جديدًا اليوم، وإنّها اعتادت أن تشتري من هذا المحل كلّما سنحت لها الفرصة. دار بيننا ليلتها حديث طويل، حكت لي عن:" حياتها، عائلتها وعملها".

- "أنا لست متزوّجة، كنت مخطوبة قبل سنتين من شخص أحببته كثيرًا لكن لم يحدث نصيب، أصبُّ اهتمامي حاليًا على عملي، أريد أن أوسّع الشّركة التي ورثتها عن أبي... أنا بطبيعتي طموحة، وأحببت مجال "البيزنس". أتدرين، أحيانًا أشعر بأنّي سأصبح من أبرز سيّدات الأعمال ليس فقط في "مصر"، بل على مستوى دول كثيرة. درست إدارة الأعمال من أجل تحقيق أمنية والدي؛ لكي أساعده في العمل، لكن سرعان ما بدأ طموحي الشّخصي يحرّكني لتحقيق ما هو أكثر من ذلك."

سكتت فجأة و أطالت النظر إلى اللوحة الكبيرة المعلقة على جدار غرفة المكتب ثم قالت:

- "إنّها تشبه صورة الفتاة الموضوعة في صالة الاستقبال، هل هي أختك؟"

لم يفاجئني سؤالها، فأجبتها: "إنّ كليهما لنور ابنتي... "

ثمّ أضفت:

-" رسم هذه اللّوحة ابن صديقتي، وأهداها لي في عيد ميلادي منذ ثلاث سنوات."

- "وأين هي الآن، لم أرها منذ جئت؟"

-" سافرت بعدما فضّلت الزّواج، فلم تكمل دراستها للعلوم السّياسية بالجامعة الأمريكية."

-"وهل تترك عاقلة دراستها في جامعة عريقة يتمنّى الكثيرون أن يدرسوا فيها من أجل الزّواج؟!!"

لهجتها لم ترحني، ففضّلت أن أنهي الحديث فتظاهرت بالانهماك في الأكل، فأنهت هي ما في طبقها من طعام، واستأذنت للصّعود إلى غرفتها.

***

كانت ليلة كبيسة عليَّ... تنتابني تلك الحالة أحيانًـــا دون سابق إنذار. جفاني النّوم و لم أشعر بالرّغبة في فعل أيّ شـــيء حتى أنّني لم أفكّر في فتح "الإيميل" كالعادة. جلست في الشرفة وقد هلت عليَّ رائحة الياسمين الرّقيقة، لا أدري لماذا ذكّـــرتني "كرمة"؟ ربّما لأنّ كليهما تتحدّثان بسرعة حتّى لا يكاد يفهم من يتحدث معهما نصف ما قيل، كم أفتقدها!

رنّ جرس الهاتف في التّاسعة صباحًا... قمت متكدّرة ،فلم أنم تلك الليلة إلا عقب شروق الشّمس، كان رقْمًا لا أعرفـــه، فكّرت في عدم الرّد لولا أنّ هذا الجهاز يحمل بداخله شـــريحة الخط الجديد الذي كنت قد خصّصته "للحرملك"، إذن علـــيَّ أن أجيب...صوتها كان ناعمًا وخفيضًا، تتحدّث بلباقة موظّفي خدمة العملاء في شركات المحمول، لوهلة ظننت أنّها الـــشّركة فعلًا، لولا أنّها أبلغتني أنّها تريد أن تكون نزيلـــة في المكـــان. تغيرت نبرة صوتى لحظتها من التحفّظ إلى السّرور ،واتّفقـــت معها على موعد الحضور، لكنّني استغربت عدم سؤالها عن سعر الغرفة والخدمات ،وهو السّؤال الذي اعتدته مـــع كـــلّ رنـــة هاتف.

"ربما تكون قد شاهدت الصّور في مجموعتي علـــى الفـــيس بوك..." قلت لنفسي.

حين قابلت "آمال" التي جاءت في موعدها تمامًا، عرفت سرّ لباقتها، يبدو أنّها قد اكتسبت تلك الصّفة بسبب طبيعة عملها، فهي موظّفة بأحد البنوك. العنوان المدوّن في بطاقتها يشير إلى أنّها من سكّان "الزّمالك". أدركت حينها سر معرفتها "بالحرملك"، يبدو أنّ اللوحة الجديدة المعلّقة بالخارج قد لفتت نظرها. لا أدري لماذا شعرت أنّ شيئًا يرغمني على النّظر إليها باستمرار، ففي وجهها لمحة جمال وسماحة.

" إلى الأبد..."

هكذا قالت بصوتها النّاعم حين سألتها عن المدّة التي ترغب في مكوثها في "الحرملك" لم تخطر تلك الفكرة على بالي من قبل لكن لا بأس، فكلّ ما أريده ألّا أعيش بمفردي.

الغرفة الثالثة

اختارت "آمال" الغرفة المتوسّطة... هي متوسطة في موقعها في المبنى وفي حجمها، وكذلك في سعرها، بها سـرير خـشبي متوسّط الحجم مزين في أعلاه بقطع مذهبة، يقع الشّباك أمـام السّرير بحيث يمكنها أن ترى السّماء وهي مستلقية عليـه. في الجهة اليمنى للسّرير، مكتب صغير عليه مكتبة تكفي لبـضعة كتب، وفي اليسار ثمّ باب الغرفة بربع متر كرسـيان مـذهبان صغيران بينهم منضدة خشبية مثبّت عليها لوح مـن الرّخـام الأخضر على شكل دائرة صغيرة. راق لها لون الجدار الوردي الذي يشبه لون بشرهّا!.

***

مرَّ النّهار عاديًّا حتّى التقينا ثلاثتنا على العشاء الذي حضّرته "آمال" بنفسها، بعدما قالت:" إنّها تجيد الطّبخ ،وإنّها ترغب في أن تذوق "كرمة" طعامها قبل أن ترحل غدًا. أعدّت لنا بطًّـا بالبرتقال، وأرزًا بالخضار... بينما أحضرت "كرمة" طبقًا مـن الحلويات الشرقيّة. جلستنا كانت حميمية، ربّما بسبب وجـود "آمال" التي أكاد أناديها بأمي.

سألتني آمال عن فكرة "الحرملك" ومن أين خطـــرت لي؟، كان سؤالها طبيعيًّا فهي لا تملك ثقافة الإنترنت.

قلت لهما: "إنّه في دبي يوجد تاكسي للـــسيدات، حـــين شاهدته خطرت لي الفكرة. أمّا عن اسم "الحرملك" فقد كان اختياره طبيعيًّا؛ لأنّ معناه معروف لدى الجميع". كـــان هـــذا الموضوع سببًا في قضاء الليلة كلّها في الحديث عن المرأة. كان الكلام عاديًّا جدًّا إلّا أن استدلت "كرمة" بالحديث الـــشريف: "خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء" كدليل على أنّ "الرّسول الكريم" قال لصحابته أن يأخذوا نصف الدّين عـــن الـــسيّدة "عائشة". لم تكن تلك المرّة الأولى التي أسمع فيها هذا الحديث، لكن أحيانًا وفي لحظة معينة تمسّ الكلمات وترًا حسَّاسًا لدينا، وهو تمامًا ما حدث معي.

كان لاكتمال البدر ورِقّة النسيم أثرًا على جِلـــستنا الـــتي طالت حتّى فوجئنا بأذان الفجر.

***

نمت حتّى الظّهيرة، عرفت من "زينب" التي تشرف علـــى نظافة "الحرملك" أنّ "كرمة" قد خرجت قبل قليـــل. دخلـــت على الإيميل ؛لأتفقّد إن كانت إحدى السيّدات تريد أن تحجز غرفة بالحرملك، لم أجد شيئًا مهمًّا فارتديت ملابسي، كـــدت

أخرج حتى تذكّرت حديث أمس، كيف يقول "رسول الله" عن السيّدة "عائشة" "الحميراء" وهو لون شعرها؟ ألم تكن محجّبة والبعض يؤكد أنّها منتقبة؟ هل ستظلّ الأمّة كلّها تعرف لون شعر أم المؤمنين إلى يوم القيامة؟ ظلّت الأسئلة تحاصرني وتدور برأسي لمدّة طويلة قبل أن ألحظ تأخّري عن موعدي مع صديقاتي.

ذهبت إلى النّادي ومارست رياضة المشي - كنت أحاول أن أقتل شعوري بالملل والوحدة ،حين بدأت ممارسة هذه العادة إلى أن صارت جزءاً من تكويني. اتفقنا اليوم على اللّقاء في أحد المطاعم المطلّة على النّيل، فغداء يوم "الجمعة" ميعاد مقدّس لي ولرفيقاتي. حين دخلت المطعم وجدت "كرمة" جالسة، كانت بمفردها. فكرت أن أسلّم عليها وأدعوها لمجالستي مع الأصدقاء، لكنّي تراجعت حتى لا تشعر بالحرج مني، فربما كانت في انتظار أحد. مرَّ الوقت ومازالت "كرمة" تجلس وحيدة، لم تكن تراني فمكاني كان بالقرب من عمود يخفيني. صدر فجأة صوت صرخة مكتومة من ناحية طاولة "كرمة"... فارتبك كلُّ الموجودين في المطعم. أصابني الهلع ،فذهبت إليها لم تكن قادرة على الكلام أو حتّى التنفّس ،بينما جسدها يرتعش بقوة. فطلبت لها الإسعاف.

الغرفة الرابعة

- "إنها تعاني من نوبة قلق..."

-" نوبة ماذا؟... قلق... ماذا تعني؟ "

-" هذه النّوبات تصيب الإنسان الذي يعاني قلقًا وتوترًا لمدة طويلة، حينها يحدث رد فعل جسدي. المؤسف حقًا أنّ قسوة تلك النّوبات تكمن في شعور المريض أنّ روحه معلّقة بين السماء والأرض فيظن أنه يحتضر.!"

لم يبدُ عليها ذلك، ربّما كانت تخفي ما بداخلها؛ لأنّني لست صديقتها... ربّما. بعدما طمأنني الطبيب عليها، أخذتها وعدنا إلى المترل. حاولت و"آمال" استنطاقها لكنّها ظلّت صامتة لمدة طويلة، لكن يبدو أنّ تأثير "آمال" عليها كان قويًا، فحديثها الذي تفوح منه رائحة الحب في كلّ حرف جعل "كرمة" تطمئنّ لها.

-" كنت أكذب عليكن منذ أول يوم أتيت فيه..."

أكملت قصّتها ،وأنا و"آمال" ننظر لها بعين الشّفقة والحزن.. ثار الدمع من عينيَّ ،وانهمر دون رغبة منّي عدة مرات. كانت جلستنا طويلة... أشفقت فيها على "كرمة" المنفعلة، فأعطيتها المهدّئ خاصّتها وتركناها تنام. دخلت كلّ

واحدة غرفتها دون أن ننطق بكلمة واحدة،بينما تتردّد كلمة "مسكينة" داخلي بقوة!.

***

كنت في غمرة تعاطفي وإحساسي "بكرمة" حين دخلت على الإنترنت ووجدت "زاكي". لم أكن بحالة جيدة تسمح لي بمجاراته في الحديث، إلا أنّني أردت ألّا أجعله يشعر وكأنه شخص غير مرحّب به، ففي كلّ مرة يصادف وجوده وأنا في حالة نفسية غير طبيعية. فسلّمت عليه، سألني عن سر اختفائي فهو لم يرني منذ أسبوع تقريبًا.

كان ذهني مشوَّشًا، فأردت أن يتحدث هو.

-" عمري ثلاثون عامًا... لا أعمل رغم تخرّجي من الجامعة!."

-" لماذا؟! ألم تجد عملًا مناسبًا؟"

-" بصراحة لسببين: الأول البطالة التي يعاني منها الشّباب، رغم أنّ والدي كان جينرالًا في الجيش ولديه علاقات متشعّبة، إلا أنّني فضلت ألّا أعمل ب"الواسطة" ،وهذا هو السّبب الثاني. لقد تسبّب عمل والدي وشهرته في انغلاقي؛ لأنّ الجميع كان يظنّ بي السّوء. في الجامعة كان زملائي يشكّون في قدراتي، بل ولديهم يقين أنّ نجاحي يعتمد على أساليب ملتوية. فمنهم من

يظنّ أنّ الأسئلة معي، ومنهم من يقسم بأنّه رأى ورقة إجـــابتي فارغة ،وأنّي لم أكتب حرفًا."

-" مسكين يا "زاكي... "قلتها ،وأنا ألعن لحظة دخـــولي على الإنترنت فلقد اكتفيت بحزني على "كرمة"، وها أنا أستمع إلى مشكلة شاب مغربي. سألته إن كان يمارس الرّياضة ،وعـــن هواياته في محاولة لتخفيف العبء النّفسي عنه وعنّي بـــالطبع، فقد كان دماغي على وشك الانفجار!."

-" أعشق كرة القدم، وأشجّع نادي "الوداد البيضاوي"، أنا كذلك مولع بالأغاني الصّوفية والموسيقى الأندلـــسية... هـــل استمعتِ لهذا النّوع من قبل؟"

-" اكتشفت الموسيقى الصّوفية منذ فترة قصيرة حين سمعت مقطوعة ل"عمر فاروق" صدفة، ومن يومها صـــرتُ إحـــدى عاشقاته، لكنّي أعترف يا "زاكي"، رغم عشقي للموسيقى إلّا أنّي لم أبحث يومًا عن جديد ،فكل علاقتي ها يحدث صدفة."

-" طيّب لحظة، سأرسل لك وصلة لأغنية روعة... بـــش تدعي لي."

كانت الوصلة لموقع "اليوتيوب" للفيديوهات لمطربة اسمهـــا "كريمة الصّقلي"، مكتوب في تعريف هذا الفيديو تـــصويره تم أثناء فاعليات مهرجان "فاس" للموسيقى الرّوحيـــة الـــصّوفية.

ذُهلْتُ من تلك المعلومة، وما كاد صوتها يصل لأذني حتّى ذبت معها تمامًا...

حبّك قد أرّقني وزاد قلبي سقما

كتمته في القلب والأحشاء حتى انكتما

لا تهتك السّتر الذي ألبستني تكرّمًا

ضيّعت نفسي سيدي فردها مسلما

صرت أتمايل مع صوتها العذب ،والموسيقى التي أخذتني إلى عوالم أخرى، حتى أنّني لم أنتبه أن "زاكي" مازال في الانتظار. شكرته على ما أرسله لي ،وطلبت منه أن نكمل غدًا. أصابني خدر ورهبة ورغبة في سماع المزيد، كالمدمنة صرت، أمضيت ليلتي في البحث بلهفة عن أغنيات صاحبة الصوت الشّجي.

في الصّباح، كانت "كرمة" قد عادت من حيث أتت، وأصبح "الحرملك" خاليًا إلا منّي و"آمال"...

كلّما دخلت على الإنترنت كنت أبحث عن "زاكي"، ربّما لأنّه كان سببًا في أن أتعرّف على عالم جديد؟ وقت الغروب، بينما كنت أسبح في فضاء الموسيقى الصّوفية... دخل "زاكي". شعرت برغبة في الحديث معه وبادرت بإلقاء السلام، كانت رغبتي في التعرّف على هذا الشّاب أكبر من الاستجابة لأسئلته، أردت أن أدير دفّة الحوار إلى حيث أريد.

فسألته عن حياته.

الغرفة الخامسة

-" جرّبت في حياتي أشياء كثيرة، ليس لمجرّد التجربة وفقط، كنت دائمًا أريد أن أعرف، أن أشعر بمشاعر مختلفة وأخــوض فيما يخوض فيه غيري. جرّبت مثلًا "السّجائر" كي أفهم كيف يشعر المدخّن بالرّغبة في أن يدخّن سيجارة. ذهبت إلى الموالــد وسافرت لبلاد كثيرة... كي أكتشف عوالم جديــدة، أحــبّ حين أسافر لأيّ دولة أن أذهب للأحياء الشعبية قبل السّياحية، أن أتذوّق طعامهم الشّعبي وأراقب تصرّفاتهم، حتّــى المثليــة دخلت ضمن دائرة اهتمامي.

قاطعته مستغربة:

- "نعم!! مثلية... هل أنت شاذ؟!"

تغيرت نبرة صوته ،وقال متلعثمًا...

-" لستُ مثليًّا... ضغط على جميع حروف الكلمة كمــن يحاول تنبيهي"، تذكّرت أنّ كلّ من هم مثله يكرهون كلمــة "شاذ".

ثمّ أكمل... لكنّي أردت أن أكتشف هذا العالم الغــامض بالنسبة لي ولكثيرين لم يجرؤوا على اختراق هذا المجتمع؛ لأنّــي

لم أفهم كيف يشعر هؤلاء وهم منبوذون في المجتمع، وكيف يتمّ التّعارف بينهم.

-" ماذا عرفت؟ وهل تخلّصت من ذلك ،أم أنّك مازلت تمارسه؟ "

انتبهت أن لهجتي ربما تثير حفيظتهُ ،فقلت:

-"أنا لست ضدّكم على الإطلاق يا "زاكي"، بل أحيانًا أشعر بالتعاطف معكم.!"

أردت أن يشعر بالأمان في الحديث معي؛ ليس فقط لرغبتي المُلحّة في التعرّف على هذا العالم، لكن في تلك اللّحظة كان تعاطفي حقيقيًّا، فأنا أعرف تمامًا كيف يكون شعور السبي آدم حين يكون منبوذًا لقد جربته كثيرًا، لكنّي فضلت ألّا أضغط عليه، فحكيت لهُ عمّا حدث لكرمة ليلة أمس، كيف كنت متأثرةً بها".

- "ومن تكون كرمة؟" سألني.

***

- "أنا فعلًا ورثت نقودًا كثيرة عن والدي الذي كان رجل أعمال ناجح، لكنّي لم أستطع أن أكمل مشواره. بعت كلّ شيء ،وظننت أنّ المال الذي معي سيساعدني على بدء مشروع

أحبّه، لكنّني وجدت نفسي لا أفعل شيئًا سوى شراء كل مــا أريده من ملابس وأشياء غالية الثمن. صرفت كل المــال، و لم يبقَ لي سوى جزء صغير من مشروع كان قد دخل فيه والدي شريكًا، يدرّ عليَّ دخلًا لا بأس به، أفعل به تمامًا كما كنــت أفعل سابقًا. تزوّجت عامًا ،وليس كما قلت لكِ يا "حــنين" :"إنّي مخطوبة"، لم أتعمّد عدم تغيير بطاقتي حــين تزوّجــت، وبالطّبع لم أفكّر في تغييرها حين طلقت، فأنا وحيدة بلا أخوة ذكور أو حتى إناث... أنا بلا سند. أتدرون أكثر ما يــثير في نفسي الألم هو: "وحدتي"، لا أشعر أنّ أحدًا في عائلتي يحــبّني، حتى أصدقائي لا يسألون عنّي مهما طالت مده الانقطاع، أنــا من تبادر دائمًا بالاتصال والسّؤال ،والاشتياق، فأُقَابل بالــصّد والانشغال. لذلك أفكّر دائمًا في فعل أيّ شيء يجعل الجميع في حاجة إليّ."

- "لا يا كرمة... أنت لا تقولين الحقيقة، وسأقولها أنا بدلًا منك حتى ينكشف لهنّ وجهك الحقيقي. كنت دائمًا ترغبين في أن تكوني محطّ اهتمام الجميع، أنا وجميع أفراد أسرتك اعتــدنا أن نسأل عليك ،لكنّك كنتِ تتعمّدين الاســتعلاء والتكبّــر، تتحدّثين بلهجة قاهرية غير التي تربّينا عليها، صوتك كان دائمًا مرتفعًا، آمرًا، متسلّطًا، وكأنّكِ أميرة تربّت في قــصرٍ ملكــي

ونحن عبيدك، لذلك فضّلنا الابتعاد عنك فجميعنا مشغولون بحياتنا ،أمّا أنتِ فحياتكِ فارغة كروحك.!"

-" أردت أن أكون قوية حتّى أثبت للجميع أنّ يُتمي لم يؤثّر علي..لن أنكسر و أنزوى بعيدًا، سأجعلكم جميعًا في حاجة إليّ... حينها لن يتوقّف جرس هاتفي عن الرّنين ،بينما أتمهّل أنا في الرّد، وربّما لا أرد من الأساس."

-" مهما فعلت يا "كرمة"، لن تنالي ما تريدينه منا... لماذا تريدين من الجميع أن يتغيّر لأجلك ،بينما تقفين أنت... كما أنت؟"

-"بل تغيّرت حتى أصدّكم عنّى!..أردتم أن تستفيدوا من وفاة والدي..من وحدتي، ألم تطلب "نهلة" ابنة عمّي منّي شراء قطعة أرض بمبلغ زهيد بحجّة فقرها وعوزها، صدّقتها واكتشفت بعد فترة أنّها علمت من زوجها الذي يعمل بمجلس المدينة أنّ تلك الأرض سيزيد ثمنها أضعافًا ؛لأنّها سوف تدخل في كردون المباني وقتها ستبيعها ،أو تنشئ عليها عمارة ضخمة لتدر عليها دخلًا هائلًا لم تكن تحلم به يومًا؟"

" أريحوا أنفسكم، لن أتغيّر أبدًا... فأنا مثالية هكذا، حين أصبح سيدة أعمال مشهورة، سيتّصل بي كلّ من يريد خدمة، ليطلب كارت منّي وعليه توصية لشخصيّة مهمة، أو ليطلب

عملًا في إحدى شركاتي. سوف أترشّح يومًا لعضوية مجلس الشعب فيزداد احتياج النّاس إليّ... وقتها سيكون لي سكرتيرة مهمّتها فقط أن تردّ على هواتفي المحمولة، بينما يبقى رقمي سرًّا لا يعرفه سوى القليلون، بالتأكيد سيتسرّب الرّقم مثلما يحدث مع النّجوم وأضطر لتغييره كلّ عدة أشهر، وأثناء تلك الفترة لن أردّ على أرقامٍ ليست مسجّلة لديّ. سأجعلهم يحتاجون إليّ دائمًا..."

يبدو أنّ ما أصابني بعدما عرفت قصة "كرمة"، حدث تمامًا ل"زاكي"... ظللنا صامتين لفترة ليست بقليلة، رغم رغبتي الملحّة في أن أعرف تجربته. اعتذر كلانا للآخر وتواعدنا على لقاءٍ قريب. نزلت لتناول العشاء مع "آمال".

الغرفة السادسة

أثناء تقديم العشاء فوجئت ب"زينب" تطلب الحديث معي، يبدو أنّ "آمال" شعرت بالحرج من المكــوث أثنــاء حــديثنا ،فاعتذرت وذهبت لاحتساء كوب من "الكاموميل" في الحديقة الخلفية.

-" يا مدام، أريد أن أسكن هنا في الغرفة الصّغيرة الــتي لا تستخدمينها، أليست تسمّى بغرفة الخدم؟، اخصمي حقّها من شهريّتي إذا أردتِ."

-" ألم أطلب منك ذلك حين جئتِ للعمل هنا ورفضتِ؟، قلتِ يومها:" إنّ راتبك سيتخطّى الثلاثة آلاف جنيه حتّى لــو أعطيتك إياها ،فلن تمكثي هنا."

-" اعذريني يا غالية، أنتِ تعلمين أن ابني تزوّج في الشّقة، و لم أعد أشعر بالرّاحة في البيت..."

-" ألم تقولي لي يا زينب، أنّكِ ستسكنين مع أختك؟"

جلست مع "آمال"، وكنت في حيرة من تلك الزينب الــتي كادت تكون سببًا في جنوني... حكيت لها عنها، فقالت: "إنّ جميعهنّ يتصرّفن بشكلٍ لا يمكن استيعابه أو فهمــه؛ لأنّهــم باختصار "عشوائيون".

تغيّرت دفّة الحديث ،حينما فاجأتني "آمال" بحديثها...

-" أخشى أن أموت دون أن يشعر بي أحد، كلّها عدّة أشهر وسأتقاعد... وبالتالي لن يكون هناك روتين يوميٌّ يجعل من يعرفوني يشعرون بغيابي. قرأت منذ عدّة سنوات عن سيّدة تم اكتشاف جثّتها بعد ثلاث سنوات من الوفاة، حدث ذلك بالمصادفة حين قرّر صاحب العقار أن يهدمه ليبنيَ مبنًى جديدًا، كان الجميع يظنّون أنّها غير موجودة أو ربّما مسافرة؛ لأنّها كانت الوحيدة التي مازالت تسكن فيه، فتحوا الشّقة فوجدوها... أخشى هذا المصير يا "حنين."

-" بعد الشر يا حبيبة قلبي، ربّنا يديكِ طولة العمر..."

-" أنا لا أخشى الموت... صدّقيني، حتّى أنّني لم أفهم يومًا سر علاقة كلمة "بعد الشر" بالموت، لماذا نحن البشر لا ندرك أن الموت حقيقة لا يمكن الإفلات منها؟، لماذا نحلم بالأبدية رغم استحالتها؟!، والأهم لماذا نعتبر مقابلة الخالق شرًّا؟!!. نحن نخاف الموت وهو يعيش فينا، ومنه تمنحنا الحياة حياة، فنحن كائنات تحيا بفعل الموت. لذلك كتبت في وصيّتي أن يتمّ تقديم شربات الورد واللوز في جنازتي وليس القهوة. أعلم أنّهم سيتّهموني بالجنون، فالنّاس عندنا ليس لديها سوى الكلام!!!."

-" قرأت يومًا مقولة لأفلاطون: "إن الجسد تابوت الرّوح" ؛لذلك أنا مؤمنة تمامًا بأنّ الموت يمنح الروح الحرية ؛لتنطلق في ملكوت "الله" الرّحب."

-" أتدرين يا حنين، قابلت الموت عدّة مرّات: أوّلها حين كان عمري عشر سنوات، كنا وقتها في "الإسكندرية" ذاهبة أنا وأخي مع أبي للبحر، وقفنا في الجانب الآخر ننتظر عبور الطّريق. بينما على ذلك الجانب سيّدة معها خمسة أطفال تقريبًا عبرت بهم إلا واحدة، كانت تركض بجوار الرّصيف، وحين وضعت إحدى قدميها عليه لم يسعفها الوقت لتضع الأخرى... فصدمتها السّيارة. كانت تلك البنت في مثل عمري ترتدي فستانًا أخضر، وشعرها الأسود مصفوف على هيئة جديلة طويلة، لم أسمع صوتها بينما صدى صوت أمّها مازلت أسمعه كلّما مررت بالمكان."

كانت "آمال" ممشوقة القوام، طويلة، شعرها قصير بلون البلاتين يتغلغل به خصلات ذهبية، الملابس كلاسيكية ردائها الدائم. منذ لقائنا الأول، يدور في خلدي سؤالٌ واحدٌ... لماذا تريد هذه السيدة أن تسكن هنا إلى الأبد؟!، فاجأتني بإجابة سؤالي المُلح وكأنّها قرأت أفكاري. حديثنا الطويل كان سببًا في أن أكتشف السّبب الحقيقي وراء رغبتي الدّائمة في النظر إلى

وجهها الصّبوح، وعينيها اللّتين تعكسان صفاء. كونها متصالحة مع نفسها صار جمالها نابعًا من روحها، وصدقها طغى علـــى ملامح وجهها ،وصبغه بتلك اللّمحة الملائكية النّاعمة. لحظتها فقط لم أخجل من أن أضمّها بقوة وأنا أردّد بشكلٍ متواصـــل أمّي... أمّي... أمّي!.

ثمّ قلت لها:

"أما أنا فأخشى أن أموت دون أن أرى "نـــور"... كـــم أوحشتني، أريد أن أضمّها ،أن أسمع دقّات قلبها لتمدّ روحـــي بالحياة. بكيت وكأن نبع ماء فاض بين مُقلتيّ فأخذت "آمال" تقرأ لي قرآنًا. وحين تمالكت نفسي عدنا لغرفنا، استـــسلمت ليلتها للنّوم دون سابق إنذار، وكأنّ روحي وجدت مرفأها بعد سنوات التّيه!."

مرّت الأيّام ،وأنا أقترب من "آمـــال" لدرجـــة الاتحـــاد والتوحّد...

تساءلت كثيرًا ،لماذا تخشى آمال الموت وحيدة؟!..ألم تقـــل إنّ لها أخًا؟ بالطّبع لهُ زوجة و أبناء ،وربّما أحفاد، أين ذهب؟ هل هاجر إلى بلاد بعيدة؟ مستحيل أن يكون لها معه خـــصومه فهي تكاد تكون ملاكًا، رغم ذلك لم يزرها أحد منذ أتت ،و كذا لم يحادثها هاتفيًا أحد.

أهدتني "آمال" يومًا كتابين، الأول عن استخدام "أسماء الله الحسنى" في الدّعاء والتسبيح، والآخر كـان بـه صـلاوات "الرّسول محمد ـصلى الله عليه وسلّمـ. أكّدت على أن أختار الاسم الذي يتوافق مع اسمي ؛لأسبّح به، وحين شعرت أنّي لم أفهم مقصدها أو أنّ عينيّ فضحتا تعجّبي من طريقتها قالت:

"هذا ليس كلامي، هذا علم قديم يسمى بعلـم "حـساب الحروف" ،أو "حساب الجُمل" حيث إنّ لكلّ حـرف قيمـة عددية تناسب طاقته، ستجدين في هذا الكتاب قائمة كاملـة بالحروف وما يوافقها من الأرقام... وفي الصّفحة المقابلة "أسماء الله الحسنى" محسوبة بالأرقام...

فتحت الكتاب، ونظرت في القائمة لتـشرح لي بـشكل أفضل:

"فاسمك مثلًا "حاء" تساوي ٨ و"النون" يوافقهـا ٥٠ أمـا "الياء" فـ ١٠، إذن "حنين" يساوى ١١٨، ابحثي عن الاسـم الذي يتوافق معك... يمكنك أن تختاري اسمين ليكملا العدد."

كانت تلك المرّة الأولى التي أسمع فيها عن هـذا العلـم... فاعتبرته تخريفًا أو دربًا من دروب الجنون لولا أن بحثت علـى الإنترنت كعادتي ،وقرأت أنّ:

"ارتباط هذا الترتيب بما يسمى حـساب الجمـل، وهـو حساب أُستُخدِم في اللّغات السّامية... ليس من السّهل معرفـة

أساس "الترتيب الأبجدي" ،وما ارتبط به من حساب في اللّغات السَّامية، إذ تعددت الأقوال في ذلك بحيث يصعب الجزم أو الترجيح. وقد يكون لهذا الحساب أساسٌ ديني، فرجال الدّين اليهودي يستخدمونه كثيرا، وقد استخدمه المسلمون في التّأريخ، وبالغت المتصوّفة في استخدامه، كما استخدمه أهل السّحر والكهانة، والشعوذة. ولا يبعد، كما قلنا، أن يكون لهذا الحساب أساس ديني ثمّ دخله التحريف والتبديل والتوظيف السيء". [1]

تذكّرت أنّي قرأت يومًا عن "حساب الجُمل" هذا في صحيفة "المصري اليوم"... كان تحقيقًا عن تنبؤات "حاخامات إسرائيل" بوعد قيام الساعة وانتهاء الحياة على الأرض... أمازالوا يستخدمونه؟!!!!... تساءلت.

بدأت في قراءة الكتابين معًا دون استخدام طريقة "آمال" التي ما إن حدّثتها عمَّا قرأت حتّى عزفت عنهُ هي الأخرى. شعرت أن ثمة تغيرًا في نفسي لم أتخيّله يومًا، فأنا الوحيدة التي تعلم حقيقة نفسها وماضيها، كم كانت روحي وضيعة وشقيّة!. أمّا الآن، كأنّي أملك جسدًا أخف من جسدي، أو

[1] كتاب إرهاصات الإعجاز العددي في القرآن الكريم.

أنّ رُوحي سمت وعلت حتّى أكاد ألمس أطراف السّماء بيدي... شعرت كأنّي طفل يتعرّف على السّعادة ،ويتحسّس الصدق والمحبة. تساءلت لماذا أقابل "آمال" الآن؟!، تلك الرّوح الشفافة، والغناء الصّوفي الذي رماني "زاكي" في بحره اللامنتهي كأنّهما اتفقا على أن يأخذا بيدي لأتعرّف على عوالم أخرى... عوالم سماوية.

الغرفة السّابعة

لم أشعر بالقلق حيال اختفاء "زاكي"، كنت أتفهّـــم تمامًـــا حرجه من الحديث معي في أمور الـــشّواذ، لكـــن رغـــبتي في الدّخول لهذا العالم كانت أكبر من أيّ خجل، لا أعرف كيف أصبحت بهذا الكم من الفضول رغم أنّها لم تكن أبـــدًا مـــن سمات شخصيّتي؟!، حتّى مع أقرب صديقاتي، كنت أســـتحي من سؤالهنّ عن أشياء تبدو عادية جدًّا.

***

اعتدت أن أجالس "آمال" في الحديقة الخلفية "للحرملـــك" بين شجر الياسمين و الورود المزهرة، وقد هلّ علينـــا الخريـــف بنسائمه الباردة ،والشّمس تستعد لتترك السّماء مشبّعة بـــاللون الوردى. كنا نحتسى شايًا مُطعّمًا بورق الليمون...سألتني عـــن أسرتي.

- "أنا وحيدة، كان أبي طبيبًا شهيرًا ،أمّا والدتي لم أرها تعمل يومًا. أكثر ما كان يشغل بالها أن تزوّجني رجلًا تباهى به العائلة..وحدث ما أرادت تمامًا. طفولتي عادية ليس فيهـــا مـــا يُحكى...أمّا شبابي"

لم أكمل جملتي تذكّرت أنّ "آمال" قالت لي مرّة :"إنّ لهـــا أخًا"، وجدتها فرصة مناسبة أن أسألها عنه، عن جد لا أعلم إن كان هروبًا من سرد حكاياتي ،أم اهتمامًا بمعرفة ما لم تحـــدّثني فيه "آمال"... ما إن وصلت كلماتي لمسامعها، لمحت في عينـــها دمعة أبت أن تتحرّر..صوتها صار أكثر انخفاضًا و حزنًا...

- "تعالي معي..."

صعدنا لغرفتها، فتحت إحدى الخزانات ،و أخرجت ألبوم صور بدى عليه القدِم... صارت تقلّب فيه.

- "لم يكن آخي وفقط، بل توأم روحي و جسدي، منـــذ ثلاثين سنة كان ذاهبًا إلى" الإسكندرية" معه زوجته التي كانت حاملًا و طفلاه اللذان لم يتخطّى عمـــرهم الخامـــسة وأمّـــي، ظهرت أمامه شاحنه ضخمة يبدو أنّ سائقها فقـــد الـــسّيطرة عليها ،فتحوّلوا جميعًا إلى كتلة لحم واحدة."

كان وصفها للحادثة دقيقًا حتى إنّه تمثّـــل أمـــام عينيـــي مشهدًا حيًا.

-"لحظة واحدة غيّرت حياتي ،وحوّلتني من إنـــسانه تحيـــا بنفس عائلتها..لأخرى تحسب الأنفاس الباقية لهـــا في الـــدنيا. كنت مسافرة معهم لقضاء إجازة الصّيف، و قدرًا لم أتمكّن من

الحصول على إجازتي بسبب بعض المشكلات في البنك. أمّـــا والدي فقد رحل قبلهم بخمسة أعوام دون سابق إنذار!.."

لا أصدّق أنّ كلّ هذا الأنين يمـــلأ روح "آمـــال" دون أن تعلنه..هذا القلب الحنون النّابض بالمحبّة ،والإيمان. كم شـــعرت بالذّنب ؛لأنّي كشفت جرحًا لازال ينزف رغم السّنون.

***

حين ظهر "زاكي" من جديد، قال:" إنّه قد مرّ بظـــروف منعته من دخول الإنترنت، وإنّه لا يمانع أبدًا في أن يحكي تجربتهً في ذلك العالم الغامض.

- "بدأ الموضوع يا ست حنين، وأنا طالب في الجامعة، كان هناك زميل في الدّفعة معروف بكونه مثليًّا، صاحبته ؛لأنّه كان منبوذًا من الجميع. كنت حينها أردّ على من يحاول الحـــديث معي في هذا الأمر بأنّي شاب مثقّف ومتفتّح على قبول الآخـــر مهما كان. تعلمين يا صديقتي، كلّنا بشر ولسنا بصدد الحكـــم على الآخرين، وهذا ليس دورنا في الحياة؛ لأنّ الملك العادل هو الذي سيقوم بذلك يوم الفصل."

كنت أشفق عليه؛ لأنّه كما قال لي لم يختر ذلك، وهل يختار عاقل شقاءه؟!!

-"المهم صرنا أصدقاءً. كنّا نخرج كثيرًا، رغـــم ذلـــك لم أرغب في دخول هذا العالم ولا في حضور حفلاتهم والجلـــوس

في مجالسهم، إلى أن جاء يوم ودعاني صديقي للسّفر معه لمكناس لحضور مولد "سيدي علي بن حمدوش"، هو يعلم أنّي مغرم بالموالد لما فيها من مظاهر عجائبية مدهشة، هناك في المولد حيث تتداخل الأصوات ،فلا تكادين تفهمين شيئًا:

"شايلاه آسيدي علي بن حمدوش أيلاه آلالا عيشة الحمدوشية" يردّد الكثيرون.

-" مال الموالد بالمثليين يا زاكي؟" قاطعته.

- "بالقرب من ضريح سيدي "بن حمدوش"، هناك ضريح لألّا عيشة، يعتقد المثليون أنّ "آلالا عيشة" ،بينما كانت في صومعتها تتعبّد، دخل عليها شخص واغتصبها، فتحوّلت بقدرة قادر إلى رجلٍ كامل ذي لحية. لذلك يذهبون للتبرّك بشجرتها وزيارة ضريحها. ذهبت بالفعل معه فداهمتنا الشّرطة واعتقلتنا. وقتها أثارت في نفسي معاملة هؤلاء الشّباب الحزن، لقد تمّ تعذيبهم بشكلٍ غير إنساني. بالطبع هذا لم يحدث معي؛ لأن والدي أخرجني من المعتقل بحكم اتصالاته الواسعة. عشت أسوأ أيّام حياتي، فتعذيبه لي لم يختلف كثيرًا عمّا حدث للآخرين، الاختلاف الوحيد هو أنّ الجلّاد اسمه أبي. شعرت وقتها أنّ ما يفعله بي لم يكن لخوفه عليَّ بقدر تصميمه على أني تلاعبت بسمعته ،وأنّ ما حدث سوف يسبّب له المشاكل من

قِبَل منافسيه الذين يتصيّدون له الأخطاء ،وبالطبع لن يفوتهم معايرته بي ،وهكذا مرّت الأيّام."

-" من حقي يا زاكي أن أخاف على سمعتي التي سعيت دائمًا لأن تكون نظيفة لا يشوبها شائبة."

- "عفوًا يا أبي، أنت لا تعرف ما يقوله عنك الناس، كنت أكره الذّهاب لأيّ مكان؛ لأنّي أسمع سبّك بأذني، ولا أستطيع أن أرد. يقولون:" إنّك استغللت عملك في الجيش ونمّيت عملك الخاص الذي لم يكن يومًا باسمك، بل استخدمت اسم أمّي واسمي كي تتّسع تجارتك... هل تنكر؟"

-" الثروة التي جمعتها هي الآن ملكك، وسيرثها أبناؤك، لا تكن غبيًّا، هات لي شخصًا لم يستغلّ منصبه لصالحه... هل فكّرت يومًا على ماذا تقوم الحياة؟ على المصالح والنّفوذ. للمال يا بني، لغة عالمية يفهمها كلّ البشر."

" حين خرج صديقي من المعتقل، التقينا مجدّدًا، كان ذلك برغبة منّي، خرجنا لكافيه حيث دقّ وشمًا على ذراعه. يومها قال لي:" إنّه يحبّني بعد أن وضع يده على فخذي وضغط عليه بحنان، شعرت بانجذاب لا أنكره، وإثارة أظنّه لاحظها، لكنّي رفضت الفكرة وابتعدت. ظلّ إحساسي بلمسته تلك عالقًا بذاكرتي، صرت أرى منامات كان هو بطلها."

-" زاكي، تذكر أنّي لم أكن بطل أحلامك فجـــأة، قـــل الحقيقة لصديقتك المصرية تمامًا كما قلتها لي. لا تنكر مناماتك منذ مراهقتك، كلّ ما فعلته أني ضغطتّ على الوتر الحـــسّاس بك، أيقظت فيك ما كنت تخشى البوح به. "

-" نعم هذا صحيح، لكنّي حاولت كثيرًا أن أعدّل مـــسار تفكيري، فابتعدت عنك تمامًا."

-" زاكي، احك لحنين ما حكيته لي... ألم تقل:"إنّك كنت تعيش بشخصيتين حتّى ظننت أنّك مريض بالفصام؟"

-" الحقيقة أنّي لم أتقبّل يومًا كوني مثليًّا، كنـــت أحـــاول دائمًا أن أبدو عكس ما أنا عليـــه، كنـــت اجتماعيًّـــا ودودًا ومحبوبًا، وفي الوقت ذاته متأكدًا أنّي لـــو كـــشفت وجهـــي الحقيقي سأكون منبوذًا ومكروهًا."

"حنين هل تعرفين ما معنى أن يكون الإنسان مثليًّـــا؟ "أن تكون مثليًّا، أن تفكر وحيدًا... وتعبّـــر وحيـــدًا... وتحـــزن وحيدًا... وتفرح وحيدًا... وتبكـــي وحيـــدًا... وتغـــضب وحيدًا... وتنام وحيدًا... وحيدًا... وحيدًا..." [٢]

صدّقيني يا حنين،حاولت كثيرًا تجنّب التفكير في الأمر حتى استسلمت لصديقي. ليس بضغطٍ منه بقدر ما اكتشفت أنّـــي

---

[٢] جملة مقتبسة من نص كتبه شاب مثلي بعنوان "أن تكون مثليًّا".

مغرم به، كنت أفكر فيه لا إراديًا عندما أسمع أغانٍ عاطفية، أو حين أرى مشاهد رومانسية... من دونه كنت وحيدًا. شعرت وقتها برغبة في أن أقابل أشخاصًا مثلي ربّما يتوقف أنين روحي، فانضممت لجمعية "كيفكيف" [٣]، اعتدت حضور اجتماعهم الشّهري، بل وكتبت من خلال موقعهم الإلكتروني عدّة مقالات دون أن أوقّع اسمي الحقيقي خائضًا في صراع زواج المثليين ،وحقّهم في العيش والانخراط في المجتمع.

بعد فترة أدركت أنّه لا مفر من مواجهة الحقيقة، صرت أزور صديقي في بيته، أساعده في إعداد الطّعام ثمّ نأكل على أنغام الموسيقى، بينما ضوء الشّموع يكمل الحالة الرومانسية، كنت أحبّ أن أنظر لعينيه، أراه جميلًا لا مثيل لهُ. حديثنا لا ينقطع وحين أتركه يظلّ الشّوق إليه يعذّبني، فأقمت معه عدّة أشهر. تحوَّل الأمر بداخلي لصراعٍ دائم بين رغبتي في البقاء مع حبيبي الذي أعيش معه لحظات حنان وعشق لم أذوقها مع أنثى من قبل، وأن يكون لي أسرة وأبناء يومًا ما، لم أكن أشعر بالرّضا. ازدادت نظرات الاشمئزاز التي كانت تلاحقني وتنهشني أينما ذهبت، كلمة "شاذ" كانت تثير أعصابي حتى أنّي فكرت في الهجرة مع صديقي إلى فرنسا!!.

---

[٣] جمعية تهتم بحقوق المثليين في المغرب.

مرَّ وقت طويل وأنا أفكر، كنت أسأل نفسي إذا كنت قد خلقت هكذا، فلماذا سيحاسبني الله؟ وإذا كان قوم لوط قد نالوا عقابهم وماتوا جميعًا، كيف ورثنا هذا الأمر عنهم؟!، وإن كان هذا شذوذًا ضد الفطرة فكيف تقوم به مخلوقات أُخرى مثل الدرافيل؟! ،وتظلّ الحقيقة الأهم أنّ السّبيل الوحيد لبقاء البشر والمخلوقات جميعًا هو اللّقاء بين الرّجل والمرأة.

-" وماذا فعلت يا زاكي؟"

-" انكشف الأمر... لم يتحدّث معي أبي لكنّه أصدر أوامره، فوجدت نفسي بين يوم وليلة في مستشفى لعلاج الأمراض النّفسية، وأمّا صديقي فتمّ إجباره على السّفر لبلد أخرى."

لم يزرني أبي ولو مرة واحدة إلى أن انتهت الحكاية عندما علمت بوفاته إثر أزمة قلبية أثناء سيره بالّشارع، يقولون:"إنّ شخصًا كان يحدّثه ،وإنّه كان جنديًّا في الجيش أثناء فترة عمله، لكني لم أعرف سببًا لتلك الأزمة المفاجئة ،فأبي لم يشتكِ يومًا من قلبه."

-" سأقول لك أنا يا زاكي، هذا البائس قال لي:" إنّ خلفيَ نجسة مثلي، وإنّك عقاب الله لي في الدّنيا ،وإن جهنّم بانتظاري... لقد أفقدتّني هيبتي يا زاكي، وبسببك عرفت المهانة في أحداق الشامتين."

ظلّت كلمة زاكي "وهل يختار الإنسان شقاءه" تتردّد في أذني بشكلٍ مخيف، صدّقت يا زاكي.

***

لم يكن صباحًا ككلّ الصّباحات السّابقة، كانت التساؤلات في رأسي تتشكّل كدوّامة لا تنتهي: "هل حقًّا تلقّى "زاكي" العلاج بشكلٍ كامل ،وعاد شخصًا طبيعيًّا؟ هل رغبة الإنسان في تكوين أسرة تكون أقوى من ميوله الجنسية، ورغباته التي يتحكّم فيها عقله؟"

انضمت المثلية لقائمة لوثة البحث الدّائم على الإنترنت، فصرت أبحث بشغف عن كلّ ما يخصّهم، قرأت أنّ هناك أسبابًا جينية ووراثية تتحكّم برغباتهم، وأنّ الحيوانات، والطّيور، والأسماك تمارس أحيانًا هذا النّوع من العلاقات المثلية. من وقتها لم أعد أعرف على أيّ أساس أبني موقفي من هؤلاء البشر. هل هم في موضع إدانة وعلينا ملاحقتهم وازدراؤهم؟، أم هم في موقف كانوا مسيّرين فيه و لم يختاروه؟!."

الغرفة الثّامنة

مازالت راقدةً دون حِرَاك... صوت الجهاز يصدر صـــوتًا رتيبًا، بينما يكمل من يجلس بقربها حالــة الـــسّكون. دخـــل الطبيب في موعده تمامًا، لم يتغيّر شيء في الحالة، هل تتحـــدّثين معها؟ تأكّدي أنّها تسمعكِ، سيساهم ذلـــك في اســـتجابتها وشفائها.

"حنين... حنين... ستعود نور غدًا، فهل ستعودين؟"

كأنّه صوتٌ آتٍ من بئرٍ عميق.

***

مرّ النّهار عاديًّا، حين عادت "آمال" من عملـــها، جلـــسنا عقب الغداء في صالة الاستقبال الصّغيرة بالدّور الثاني.. أجمـــل ما في صحبتنا أنّ الحديث بيننا الموصول دائمًا. أخرجت صورة قديمة لها من المحفظة...تأمّلتها مليًا ،ثمّ قرأت المكتوب عليها من الخلف بخطٍ جميل:

"دخلت غرفتها ونظرت إلى نفسها في المرآة

فتحت صندوقًا، وأخرجت منه صورة قديمة وفكرت:

بقي القليل لتختفي ملامح الشّبه بيننا تمامًا"-" قرأت هذا البيت منذ عدّة أشهر لشاعرة أسبانية تُدْعى "بياتريس روسو"، لا أدرى لماذا شعرت و كأنّه موجّه إليَّ، فكتبته على الصّورة:

-" ما أجملك! ألم يوقعك بشري في شباكه؟"

ثمّ قلت لها مداعبة:

-" أنا متأكّدة أنّ الكثيرين كانوا ضحاياك مستحيل أنّـــه لم يدخل حياتك رجل، أنت تشبهين الخواجـــات، و الـــشّرقيون يميلون للشّقراوات.

-" أنا أشبة جدّتي لأمي. كانت فرنسية تزوّجها جدّي أثناء بعثته لفرنسا ،حيث كان يدرس المحاماه في جامعة السّربون."

-" لن أنسى يا "آمال" ،فلا تحاولي تغير الموضوع..مازلـــت أريد أن أعرف سبب وحدتك."

- "حنين، العلّة لم تكن يومًا هم، أنا السّبب، كنت أبحـــث دائمًا على الكمال والمثالية، ونسيت أنّ البشر لا يملكـــون أن يكونوا كذلك، حتّى أنا لم أكن يومًا مثالية. لكن حين يـــأتي الحبّ، لحظتها فقط يشعر الإنسان بكمال من يحبّ، وينـــسى ويغفر ويقدّم تنازلات فيخسر".

- "ألم يطرق الحبّ بابك؟!، لا أصدّق، أنت كلك قلـــب وحنان..."

-" بل أحببت، كنت مسحورة به، مولعة بكلّ ما فيه، ولهذا فقد رأيته كاملًا، إلهًا من آلهة الإغريق متمثلًا في بشري. من أجل ذلك أخفيت على نفسي أنّه بخيل وغير جاد، تناسيت أنّه لا يعرف في الحياة سوى عمله، حين يركّز فيه ينساني، وأصبحُ على هامش حياته، كان يذكرني وقت فراغه، أظنّني كنت لعبته التي يستخدمها حين يرغب في الخروج من حالة العمل، وحين فقدت ميزة أن أكون مسلّية، رحل كأنه ذاب بخنايا قلب الدنيا. كنت أحبّه لدرجة الإدمان حتى أنّ الإقلاع عنه كان أمرًا احتجت فيه لإرادة فولاذية كالذي يقلع عن شيء أصبح جزءًا من تكوين دمهِ وخلاياه. احتاج الأمر لقرارات كنت أمليها على نفسي وأجبرها على الرّضوخ والانصياع ،وكأنّي انقسمت لاثنين الآمر والمأمور. ومع ذلك لا و لم أشعر أبدًا بالسّخط ولا النّدم، فكلّ شيء يمر بنا ينقش على وجداننا تاريخًا يؤثر بمستقبلنا. خرجت من هذه القصة أقوى بكثير، وأظنّها سببًا لأن أكون اليوم مديرة، كيف لا وقد نجحت في إجبار قلبي على النّسيان!."

في ذلك الوقت كانت "زينب" تقوم بحركاتها الاستفزازية المعتادة، أكثر من نصف ساعة تدخل وتخرج إلى حيث أجلس مع "آمال"، وكأنّها تحاول أن تتنصّت على حديثنا الهامس في محاولةٍ منها لإيحائي بعكس ذلك.

"زينب" امرأة أربعينية ذات روحٍ فضولية مشاغبة، تتلبّس جسدًا ضخمًا، بشرتها بيضاء تميل إلى الصّفرة، لا أدري إن كان سببه فقر دم ،أم تلك هي طبيعتها، تصفّف شعرها الأسود ذو الخصلات البرتقالية على هيئة جديلتان، و قد صار كفّاها و أظافرها يميلان للحمرة من أثر الحنّاء التي تستخدمها نصف شهريًا ؛لتعلن بها رفضها لاحتلال الشّيب.

استأذنت "آمال" ودخلت لها، سألتها ماذا تريد؟ وأجابت برغبتها في معرفة ما إذا كنت سأسمح لها بالإقامة هنا، وبينما أحدّثها وقعت عيني على يدها اليمنى، كانت بها جروح غريبة سألتها ،فقالت:" إنّ ابنها أصرّ أن يأخذ منها ذهبها ليشتري سيّارة"!.

-" وهل تعلّم القيادة؟"

-" لا يا غالية، لكنّه تعوّد أن يفعل ما يريد فهو يشعر أنّه رجلي الوحيد... وبصراحة يا مدام، تلك هي الحقيقة، المرأة دائمًا بحاجة لرجل يراعيها ويُشْعِرُها بالأمان."

-"يعني إيه؟ "

تمنّيت أن أتبعها باستعطافها؛ لأن ترحمني من كلمة "يا غالية" كانت تستفزّني لأنّي أعرف أنّها تقول في نفسها عكسها تمامًا، ولو طالت لابتزّتني بكلّ ما لديها من حِيَل، لكنّها لم

تعطني إجابة شافية... نفس أسلوبها الملتوي الذي يجعلني لا أثق بها ،ولا أطمئنّ لها.

فقلت لها:" إنّني لا أوافق على إقامتها هنا، وعليها أن تستمرّ في العمل أو ترحل، الأمر خيارها. اعتدت على أن تـــسبّب لي تلك "الزّينب" ارتفاعًا في ضغط الدّم مع حيرة شديدة ،ورغبـــة حقيقية في طردها بلا عودة، لكن في كلّ مرّة أقرّر أن أتنـــازل وأتراجع ،ففي ظلّ أزمة عاملات النّظافة ودلعهنّ الزّائـــد عـــن الحدّ، خاصة بعد القانون الذي صدر بتصديرهنّ، وشـــعورهنّ بأهنّ في أية لحظة سيتمكّنّ من السّفر بعقد عمل للإعـــارة في دول شقيقة، والقانون الآخر بعدم السّماح للمصريين باستقدام عاملات أجنبيّات على أساس أنّ أبناء البلد أولى بالمعروف، فإذا بدلالهنّ يزيد حتّى أصبح كثير منهنّ يعلب دور سيّدة المـــترل، و"زينب" من هذا الصّنف.كم شعرت بيدي كلّها وليس إصبعًا واحدًا تحت ضرس هذه المعتوهة التي ترتدي العباءة الـــسّوداء والخمار، وهي التي لم أرها تصلّي منذ عملت لديَّ قبل سنتين.

تساءلت لماذا لم أكتب للكاتب "بلال فـــضل" ردًّا علـــى استنكاره استقدام العاملات من خارج مصر... فهـــو رجـــل ،وبالطّبع لم يجرّب يومًا التعامل مع هذه الفئة عن قـــرب، لـــو فعل... لأخذ مقاله منحىً آخر!!.

في المساء وجدت "زاكي" ينتظرني في الموعد الذي اعتـــدت أن أدخل فيه على الإنترنت. بعد السّلام والكلام المعتاد عــن الأحوال والأخبار اليومية، حكيت لهُ عن الكتاب الذي أعطتني إيّاه "آمال"، ولكنّه فاجأني بأنّه منذ تعارفنا لم يعرف عنّــي أيّ شيءٍ سوى مشروعي الذي بدأته ،وأهميته في ذات الأسبوع.

نعم، نسيت أن أقول لكم:" إنّني اكتفيت بآمال ،و لم يعــد هناك فندقًا باسم "الحرملك"، لقد عاد البيت كما كان، حــتى أنني لم أعد آخذ مالًا من "آمال" نظير مكوثها معي، إلا أنّهــا أصرّت أن تشارك في مصاريف البيت حتّى لا تشعر أنّها عبء عليّ.

كانت هذه الفيلا الصغيرة ملكًا لوالد زوجي، حين تُــوُفّي رغب أخواه في بيعها ليستفيدوا من ثمنها الباهظ..ففي دمــاغ كلّ واحدٍ منهما مشروع يريد أن يتمّمه. لكن زوجي فضّل أن لا يفرّط في رائحة ذكرياته العالقة بجدران هذا المكان، فالبيت الذي شهد مولده لا بّد أن يشهد جنازته، فاشترى نــصيبهم. حين داهمه المرض و شعر بقرب موته. قال لي:

- "لن أعطيهم الفرصة ليرثا الفيلا مرّتين..فكتبت نــصفها لكِ ،والآخر لابنتي."

الغرفة التاسعة

-"من أنت؟"

-"من أنا؟"

سؤال أعجز كثيرًا عن الخوض فيه ،ولم أتمكّن يومًا من الإجابة عليه، أرتبك جدًّا حين أسمعه، فأرى صورًا من حياتي تمرّ أمام عينيّ بسرعة ودون توقّف، وكأنّها جهاز عرض خاص. لا أدري كم من الوقت مرَّ وأنا تائهة وعاجزة عن الإجابة، لا أدري لماذا تهرّبت من سؤاله وتعلّلت بأنّ حكايتي طويلة ومملّة، وحاولت أن أغلق الطّريق أمام أيّ أسئلة.

-"أعرف أنّ سؤال "من أنت؟" صعب ؛لذلك سأسهّل الأمر عليك، سأسألك بشكلٍ مباشر عن أمور محدّدة..."

كان ذلك كفيلًا بأن أتراجع ،خاصّة بعد أن صار اتفاقًا متبادلًا.

- "أعرف أنّكِ متزوّجة ،فهل لديك أبناء؟"

-" لديَّ ابنة واحدة اسمها "نور"."

-" أين هي؟ ،وكم عمرها؟"

-" ابنتي الآن في الرابعة والعشرين من عمرها، تزوّجت قبل خمس سنوات، وسافرت مع زوجها خارج مصر."

-" لماذا لا تتحدّثين عنها، وتكادين تتجاهلين هذا الموضوع؟"

-" بالعكس أشتاق لها كثيرًا، لكنّها من أرادت ألّا أكون بحياتها، وعليَّ أن أحترم قرارها تمامًا كما احترمت رغبتها في الزّواج بمن تحب ،وهي مازالت دون العشرين."

-" هل تزورينها ،أو تأتي لزيارتك؟"

-" زاكي، أنا لا أعرف أي شيء عن "نور" منذ سافرت"... قلتها بلهجة يغلب عليها الغضب.

-" يبدو أنّ الأمر به قصّة طويلة، لا يمكن لابن أو ابنة أن يبتعد عن والدته مهما حدث... أخبريني ما الذي حدث يا حنين؟"

-" أتدري يا زاكي، أنا لست تلك المرأة المهذّبة التي تتكلّم معك، ولا تلك الأنيقة التي تبدو في صورة البروفايل، كما أنّني لست تلك الحنونة التي ساعدتك على الحديث في أمور شديدة الحساسية دون أن تشعر بحرج، ولست تلك التقيّة الورعة المولعة بالصّوفية والتصوّف، أنا العكس."

يبدو أنّ كلماتي أصابت "زاكي" بتردّد في مواصلة الحوار، لم يرد أن يستنطقني ،بل فضّل الانسحاب في هدوء. ربّما

عاتب نفسه كثيرًا، لأنّه ضغط علي لأحكي له ما أريد أن أنساه.

ذكّره حديثنا بأمّه التي رحلت مبكرًا...

"كم كانت لطيفة بشكلٍ مفرط، حنونة بسخاء، اهتمت بي كثيرًا. رحيلها المفاجئ كان قاسيًا عليّ؛ ليس فقط لأنّها أمّي، بل لأنّها كانت كلّ شيء لي في الحياة. كثيرًا ما عاتبتها بيني وبين نفسي. كانت تخشى أن يمسّني أذى، فلم أعرف اللّعب مع الأصدقاء يومًا، ولا زيارة الأقارب، ولا الخروج مع والدي، ولا حتى مجالسته مع أصدقائه حين يزوروننا."

-" كنت أخاف عليك يا "زاكي"، أنت الشّيء الوحيد الذي أردته من الحياة ووهبني الخالق إيّاه. ألا تذكر كيف كانت حياتي مع والدك؟"

-" نعم أذكر، وهو أكثر ما يسبّب الضّيق لي، غالبًا ما أكون نائمًا فأصحو مفزوعًا حين أراه يضربك ،أو يسبّك بأشنع الألفاظ. حين كنتِ تريني فتمسحين دموعكِ وتحضنيني بشدّة، لكن لماذا كنت أراكِ في الصّباح تعدّين له الفطور، وتساعدينه في ارتداء ملابسه وعلى شفتيك ابتسامة ،وكأنّ شيئًا لم يكن؟!!"

-" لم يكن لي غيرك، وإذا طلبت الطلاق كان عليَّ أن أقبل الحياة بدونك، وكيف لي أن لا أراك طول الوقت أمام عيني؟!، أنت نعمة يا زاكي."

-" لكنّي لم أعرف يومًا سبب الخلاف ولا تفاصيله، كلَّ شيء بالنسبة لي كان ذكرياتٍ مؤلمة. يقولون:" إن السرّطان داهمك ولم يستجب جسدك للعلاج بقدر ما استسلم للمرض...هل تعمّدتِ أن تتركيني في الثانية عشرة وحيدًا؟!"

الغرفة العاشرة

كان صباحًا غائمًا كليليَ، لم تفارقني صورة "زاكي" وعيناه تقطر حزنًا. قابلت "آمال" على الفطور، ذهبت هي للعمـــل، بينما كنت أستعدّ للذّهاب للنّادي.

ازداد انشغالي وقلقي من تصرّفات "زينب" وغموضها بعدما شاهدت منذ عدّة أيام برنامج "العاشرة مساءً" حلقة مخصّـــصة للتعامل الأمني مع عاملات النّظافة، تذكّرت أنّ الضّيف أكّــد على أهمية أن يحتفظ أصحاب البيت بنـــسخة مـــن البطاقـــة الشّخصية الخاصّة بالعاملين لديهم...كيف لم أفكر أبدًا في هذا الأمر؟! ناديت "زينب" وطلبت منـــها بطاقتـــها، تلعثمـــت وتباطأت في إحضارها لي.

حين نظرت فيها تفاجأت...

-" آنسة يا زينب!؟ ألم تقولي لي:"إنّ لديك ابنًا متزوجًا؟! هل تضحكين عليَّ...بدأ صوتي يرتفع، وقد قرّرت أن أفـــضي بكلّ ما في صدري من شكوكٍ تجاهها."

- "يا مدام، أنا فعلا أم لشاب، لكن للأسف ليس مكتوبًـــا باسم أبيه ،ولا أنا في الورق الرّسمي زوجة!"

-" كيف ذلك يا زينب؟!"

-" كان أبو"علاء" زوج إحدى قريباتي التي لم تحمل منـــه طفلًا لسنوات طويلة، كان قد فقد الأمل بعد ما عـــرف أنّـــه السّبب ،ولن يكون أبًا يومًا ما، كنت أتردّد على بيتهم كثيرًا.. أحببته و مال لي. فاتحني في أمر الزّواج، اتفقنا، قلت لأهلـــي:" إنّي سأعمل عند أحد الأسر في القاهرة" ،وافقـــوا لفقـــرهم و عوزهم. سافرت معه و تزوّجنا عرفيًا..لم تعرف زوجته و كذا أهلي، ثلاث سنوات معه كنا نرشف من زهور السّعادة عسلًا. شعرت فجأة بأعراض صحية ظننت معها أنّي أعاني مرضًا..

" حبلى.."قال لي الطبيب، "حبلى!!!" ردّد هو مائة مرّة.

خرجنا من العيادة و الذّهول يُصاحبنا، عندما وصـــلنا إلى البيت طلب منّي الصّعود ،وقال:" إنّه سيذهب للقهـــوة..و لم يعد من يومها أبدًا لا عندي و لا عند "هنية" زوجتـــه الأولى. تعلمين يا مدام أنّي أسكن في إحدى حواري الجيـــزة..حـــين تركني زوجي كنت شابة ذات جسد ملفوف خفت أن أصبح مطمعًا للرجال..فقررت أن أداري نهودي الفائرة و خـــصري النحيل بخمارٍ وعباءة، فالنّاس لا تترك أحدًا في حاله".

ثمّ استطردت...

- "والله يا مدام هو ده اللّي حصل."

-"كاذبة.. جنينك ليس من صلبي يا "زينـــب"، أجريـــت تحاليلًا ،وقال الطّبيب:" إنّي عقيم"، لهذا فقط لم أفكّر في الزّواج

بأخرى ،وتزوجتك عرفي كي لا أجرح مشاعرها، عرفانًا منّي بما فعلته "هنية"....ضحّت بأمومتها لأجلي.

-"وابن من تظن!؟ لن أقسم لك حتّى تصدّقي، سأقول لك ما لم تعط لنفسك فرصة لتعرفه. خدعتك "هنيّة" اللّئيمة كي لا تخسرك وتظلّ دائمًا خاتمًا بإصبعها، واتفقت مع فنّي التحاليل بالوحدة الصّحية حتى يخفى الحقيقة عنك، في المقابل زوّجته أختها الصّغيرة "أمل" دون أن يدفع لها مهرًا أو يتكلّف قرشًا واحدًا، باعت "هنية" القيراط الوحيد الذى تملكه من أجل خطّتها. علمت أختك "نجاح" بالأمر بعد سنتين صدفه حين احترق قلب "هنية" وأعلنت عن فعلتها. وافق زوج "نجاح" على أن يكتب "علاء" باسمه ،وهى الوحيدة التى تتردّد علينا حتّى الآن.. أمّا أنا فمازلت في نظر القانون آنسة.!!"

-" أردت أن ألملم جرحي بعيدًا ،وأن أنزوى فى مكان لا يعرفنى فيه أحد..لن أحتمل أن يسبّ كرامتى أحدٌ."

لم يمسّ كرامتك أحدًا..ليتك هنا، تركت حملًا ثقيلًا وهربت.

- "زينب، لا أريد أن أظلمك ولكن في نفس الوقت لم أعد أثق بك؛ لأنّك لم تقولي لي الحقيقة من البداية، لن تعملي هنا بعد اليوم."

لم أشعر حيالها بالذّنب، من البداية لم أكن مرتاحــة لهــا، كنت أشعر أنّها تخفي أمرًا، رغم ذلك تبوح بأسرار الآخرين، وبالتأكيد كانت تحكي للآخرين عنّي... أستغرب تصرّفاتها التي تتناقض مع مظهرها، فلم أرها تصلّ يومًا ،والأسرار أمانــة لا تصونها، الحمد لله أنّها ذهبت بغير عودة.

***

مرّ وقت طويل دون أن أتحدّث مع "زاكي"، لم أعد أهــتم كثيرًا بالدّخول على الإنترنــت..وكــأنّي زهــدت حيــاتي السّابقة.انخرطت في القراءات الدّينية ،وبدأت رغبتي في ارتــداء الحجاب تزداد يومًا بعد يوم. لا أدرى لماذا صرت روحي تردّد أبياتًا "للحلاج" ،بينما تتراقص الكلمات وكأنّها مكتوبة أمــام عيني ،فتظهر واحدة وتختفي الأخرى..

ما لامني فيك أحبابي وأعدائي

إلّــا لغفلتهم عن عظــم بلوائــي

تركتُ للنّاس دنياهم ودينهــم

شغلًا بحبــّك يا ديني ودنيائــي

أشعلتَ في كبدي نارين واحدة

بين الضلوع وأخرى بين أحشائي

كنت أعلم أنّ قراري سيبدو غريبًا على كلّ مــن يعــرفني جيدًا، أصدقائي وأقاربي... لكن لا بأس فهو قــرارٌ شخــصي على أية حال. أردت أن أفعل أيّ شيء يقرّبني إلى "الله"... أن أشكره لأنّه أعطاني فرصة أخرى، ربما سيمنحني الحجاب راحة وسلامًا نفسيًّا. حين اتّخذت قراري، نزلت إلى الحديقة حيــث تجلس "آمال"، أخبرتها، فرحّبت بالفكرة واحتــضنتني بــشدّة، وباركت لي.

- "لم أتوقّع أن يكون هذا ردّ فعلك."

- "لماذا... لأنّني غير محجّبة؟!"

-" بصراحة نعم..." قلتها متلعثمة.

-" لماذا نحن مصمّمون على أن نبيــع عقولنــا للآخــرين ليفكروا لنا؟ حبيبتي أنت حرّة افعلي ما شئتِ."

ذكّرني كلامها بحديث "الحميراء" قلت لها:"إنّ هذا الحديث كان أحد أسباب قراري ،ربّما لأنّه أثار في نفــسي الــشّكوك فبحثت وقرأت حتّى اكتشفت أنّه بلا ســند ولا أصــل، وأنّ الحميراء لا تعني لون شعرها كما يظنّ البعضُ، بل هــو لــون بشرتها الذي اعتاد العرب وصفه بالأحمر؛ كون البياض مرتبط عندهم بالبرص" واستطردت...

"أعلم أنّنا تعوّدنا أن نردّد ما يمليه علينا رجال الــدّين دون تفكير ظنًا منا أنّه دربٌ من دروب الكفر والإلحاد. "آمــال"، كنت أريد أن أسألك، لماذا لم تتحجّبي رغم تديّنك و..."

لم تدعني أكمل:

-" حنين، يعلم "الله" أنّي لست ضدّ الحجاب ولا أنكر أنّي فكرت يومًا في أن أرتديه، قرأت كثيرًا لأفهم إن كان قرارًا دينيًّا أم قرارًا اجتماعيًّا، و لم أصل لإجابة شافية. وأعترف بأنّ القرار بدا أمرًا لي صعبًا ومسؤولية ربما لا أستطيع تحمّلها..."

-" أستغرب كلامك يا آمال، فهو بوجهين، ماذا تعني بمسؤولية في الحجاب؟!"

-" دعيني أسألك، لماذا نسينا جوهر الدّين وتمسّكنا بمظهره فقط؟ تأكّدي رغم اختلاف وجهات النّظر وأن الكثيرين يظنّون أنّ الحجاب عادة، إلا أنّنا لا نستطيع أن ننكر أبدًا كونه رمزًا للمسلّمات..."

نظرت لها مستغربة... فأضافت منفعلة:

-" باختصار، على الجميع تحمّل مسؤولية قراراقم حتّى لا يشوّهوها، والحجاب فعل قبل أن يكون زيًّا."

دعتني "آمال" يومها لأفتّش في ذاتي وأتصالح معها... قالت:" إنّ بداخلنا يكمن الخير والشّر، النّور والظّلام، لكن الخير أقوى والنور أسطع؛ لأنّهما الجزء الربّاني فينا."

"حاولي أن تجدي طريقكِ"... قالت لي.

الغرفة الحادية عشر

"الآن لا تنتمي لي
صرتُ عني غريبًا
ولم يتبقّ من السّنوات الغربية
إلّا صدى اسمي
وأسماء من أتذكّرهم -فجأة-"

آلمتني كلمات "أمل دنقل" حين قرأتها صدفة في رحلة البحث المعتادة على الإنترنت، التي أخوضها حين أرغب في الهروب من التفكير في أمرٍ ما. شعرت أنّي من كتبتها منذ عدّة سنوات، تحديدًا قبل خمس سنوات حين كنت غريبة عنّي. تزوّجت رجلًا لم تربطني به أيّ علاقة سوى أنّه رآني مرّة مع والدي ووالدتي ، فطلبني للزّواج.

- "كنت جميلة تلك الليلة يا حنين، بفستانك الزهري وشعرك البنّي الذي تركتيه ينسدل على كتفيكِ. أتذكرين؟ كنا ليلتها في حفل عشاء مدام "ملك"."

- "نعم يا ماما أذكر، أتعلمين... لقد صبغت شعري منذ فترة باللّون الأسود ومشّطته تمامًا كالغجريات... يشعرني هذا بالانطلاق. أذكر كذلك أنّي تزوجت بطريقة الصّالونات

الشّهيرة. كان زوجي دبلوماسيًّا دمث الأخـــلاق، معـــه زرت معظم بلاد الدّنيا، لا أنكر أنّها كانت إحدى أمنيّـــاتي ،وربمـــا كان ذلك سببًا في البداية لقبول طلبه بـــالزّواج منّـــي. عيبـــه الوحيد -كان كذلك اسمه وحيد- أنّه يدمن شرب الكحـــول مادام في البيت ولا يعمل. كنت أغبطه على قدرته الفائقـــة في التحكّم في رغباته ونزواته، أمّا أنا فأفتقر لميزته تلك.

-"لأنّكِ ببساطة غبية يا "حنين"... لا تحملـــيني مـــسؤولية أفعالك، فأنتِ من هؤلاء الذين لديهم ميول للإدمان."

-" ربما أكون كذلك يا "وحيد"، لا تنكر أنّك تحمل جزءًا من المسؤولية، أنت من ملأت خزانة المطبخ بـــأجود أنـــواع الخمور، التي كنت تشتريها من كلّ بلدٍ تسافر لها... هل تنكر؟ كم وددت لو أدمنت ابنتي وحياتي."

-" أنت من لم يكن لديكِ قدرة على تحمّل مسؤولية كونك أمًا، أردت دائمًا أن تعيشي حرّة، هل نسيتِ ما فعلتيه حـــين علمت بنبأ حملك... قلت:"إنّك لا تريـــدي أن تكـــوني أمًّـــا ،وخطّطت للتخلّص من جنينك."

-" المرأة تحب أن تنجب ممَّن تحب... أعترف بأنّي شعرت حيالك أحيانًا بالذنب، ربّما لأنّك لم تكن يومًا شخصًا ســـيئًا ،لكنّك لم تكن أبدًا فتى أحلامي."

حين تعلّمت الشّرب، كنت قد أنجبت "نور" التي حملت بها بعد شهرٍ من الزّواج. ساعدتني أمّي في تربيتها بعد أن انتقلت للعيش معنا عقب وفاة والدي.

-" عفوًا يا حنين، أذكّرك بأن تصدُقي في حكاية قصتك، فأنت لم تربّي "نور" ولم أساعدك في ذلك، بل أنا التي ربّيتها، كان حبّكِ للخمر أكبر من غريزتك، أحيانًا أشعر أنّك محظوظة لأنّي كنتَ معك، أو ربّما كان هذا حظ ابنتك المسكينة.!"

-" نعم، نعم، أنت أم نور البديلة، لكنك رحلتِ حين بلغت "نور" الثانية عشرة، واضطررت أن أستعين بسيّدة من أجل "نور" شعرت وقتها أنّكِ تخلّيتِ عنّي."

اكتشف "وحيد" مرضه بتليّف الكبد، لم يكن قد مرَّ على وفاة أمّي بضعة أشهر... لم يتحمّل، ومات هو الآخر.

فرغ البيت إلّا منّي ،ومن "نور" التي تحوّلت إلى إنسانة متعصّبة لأفكارها، وهي مازالت في المراهقة، زادت الفجوة... حاولت كثيرًا الاقتراب منها، لكن كلانا شعر بالغربة.

- "ماما لم تحاولي أن تحتويني، كرهت أنانيتكِ، كم حسدت زميلاتي في المدرسة حتّى اللّاتي يأتين في الصّباح ،وعلى أجسادهنّ آثار علقة ساخنة. سأقول لك سرًّا، أتذكرين يوم جئت لك بصورة لمرأة في ثوب الزّفاف ،وحين سألتُكِ لم

تحبيني... ذهبت بعدها للمدرسة وقلت لزميلاتي:" إنّها أمّي الحقيقية وإنّك تبنّيتني؛ لأنّي يتيمة، نعم لطالما شعرت باليتم!!."

حاولت كثيرًا التخلّص من ذلك الإدمان الذي سلبني مشاعر الأمومة، وحرمني الاقتراب من ابنتي، كنت ما أكاد أرى الزّجاجة أمامي حتى أنسى كل النّذور والوعود والأفكار... لا أرى شيئًا سواها، لا أسمع صوتًا إلا صوتها!!.

-" أرأيتِ أنّك أحببتِ الزّجاجة أكثر منّي..."

-" أرأيتِ أنّكِ أحببتِ الزّجاجة أكثر منها..."

- "وحيد، نور، ماما، من فضلكم، دعوني أكمل قصّتي دون تدخّلٍ منكم، فأنا أروي فصول حياتي... إنّها قصّتي."

***

خشيت من فكرة المرض ،وزاد الشّعور عندي حين رأيت "وحيد" يعانقه الألم بقوّة، فقررت السّفر للعلاج... وحدث.

عدت كالمولودة من جديد، كأنّ العمر عاد بي... يا الله، مرّت السّنوات بي سريعًا ثمّ عادت حتّى ظننت أنّه كان حلمًا ،و"نور" هي الحقيقة فيه. حلمت بأن أحضن "نور"، أن أستمدّ الحنان من دفئها، و القوّة من شبابها، أن ألعب دور الأمّ، أن أجرّب إحساسه بصدق،أن أعوّض تسعة عشر عامًا، لكنّ المشهد كان قد انتهى. فقد لعبته المربية ببراعة تُحسد عليها، وشكّلت "نور" تمامًا كما أرادت... تنقّبت "نور".

- "أردتُ أن أسقيكِ من نفس الكأس يا ماما، أن تشعري بالخجل منّي وسط سيدات المجتمع الرّاقي الذي تنتمين إليـــه... اعترفي بأنّي انتصرت عليك."

- " لم أخجل من نقابك يا "نور"، بل من عندك وتطرّفك، هل تذكرين حين قررتِ ألّا تأكلي معي ولا تسلّمي عليَّ؛ لأنّ شيخك قال عنّي كافرة؟ حتّى أنّك صرت لا تقتربين منّي ولا تجالسيني، كانت غرفتكِ هي عالمك الخاصّ ،وأصدرتِ أوامركِ بأن يصبح باقي البيت كالمنفى أعيش فيه وحيـــدة. بـــل وزاد خجلي بعدما خلعت حجابك لتتزوّجي شخــصًا مـــن غـــير دينك."

-" لا بل كلانا يعتنق ذات الدّين، لقد أحببته يا مامـــا، و الزّواج مثل الموت ،والولادة قدر. "

-" قدر؟ وقدرًا كرهتك حين هاجرتِ وسافرتِ معه لبلاد بعيدة... كرهتك يا حبيبتي، وكرهتِ العمر بعدك... "

الغرفة الثانية عشر

- "ماما، ماما... أتسمعينني؟ أنا نور يا ماما، ماما... ماما."

***

تخطر أحيانا "كرمة" على بالى..أسأل نفسي عن أحوالها، أندم كثيرًا لأنّي لم أحاول يومًا السّؤال عنها..لكن "آمال" هدّأتنى أحتل يومًا الشعور بالذّنب إحساسي ، قالت لي:"إنّ كرمة هي من رغبت في الاختفاء والانزواء بعيدًا عنّا، فحتّى رقم هاتفها المحمول الذي دوّنته ليلة سفرها لا يوجد بالخدمة، و كأنّها ذابت داخل نبتة صبّار شديدة المرارة.!!

-" تأتيني هذه النوبات منذ طُلقت...أخذتني إحدى قريباتي لشيخ ليعالجني، الذى قال:"إنّ مسًّا قد أصابني. يومها صمّم على أن أستحمّ بماءٍ كان قد قرأ عليه... أمامه وفعلت. ارتديت يومها عباءة سوداء، و وقفت بداخل إناء كبير من الألمنيوم، ثم قامت مساعدته بصبّ الماء عليَّ بينما يتمتم هو بكلامٍ غير مفهوم."

-"الحمد لله ربنا وفّقني وطردت الجنّي منك، لم يكن مسلمًا، لذلك آذاكِ دون أن تتسبّي له بأذى، المسلم لا يؤذي إلا من يؤذيه..."

لكن الحالة عاودتني من جديد حين رأيتني يا حسنين، "الله" يحبّني لأنّكِ كنتِ هناك.

-"حين تزوّجت ظننت أنّه سيكون سندًا، عرفته طفلًا مشاغبًا في المدرسة ،ثمّ شابًا متفوقًا في الجامعة.."عادل" ابن خالتي و حبيبي الذي ظننت دائمًا أنّه الرّجل الوحيد على وجه الأرض ،أمّا الباقون فهم بشر...مجرّد بشر. إحساس رائع أن أبني بيتًا و حياة..أن أشترى كلّ شيءٍ على ذوقي و أنسّقه بطريقتي، أن أدير بيتي و حياتي.

-" كرمة..تعلمين أنّى أحببتك دائمًا ،لكنّ أسلوبكِ جعلني أحسّ أني أتعرّف عليك من جديد، أنتِ لست "كرمة" الوديعة الاجتماعية..بل "كرمة" المندفعة الإنطوائية، صوتك ذو النبرة العالية المتعالية.. كم أكرهه."

- "بل أنا التي اكتشفت أنّك ذكوري النزعة، أناني بالفطرة..كانت غيرتك منّي تظهر في تصرّفاتك دون أن تدرى لأنّي أغنى منك، هل تنكر أنّك عارضت دائمًا فكرة تغيير سيارتي؟ يبدو أنّى أخطأت حين فكّرت أن أستشيرك ،فهي ملكي و من حقّي أن أفعل ها ما شئت."

-" أغار منك أنت! يبدو أنّ "بارانويا" العظمة قد استفحلت بداخلكِ..أنتِ مسكينة يا "كرمة" تظنّين أنّ

بإمكانك شراء كلّ شئ. أثناء تجهيز شقّتنا اشتريتِ الأثاث من المحلّات مشهورة لمجرّد أن تتباهي بأنّــكِ اشــتريتِ منــها، لم يشغلك أبدًا ثمنها الباهظ ،أو أنّ ذوقها ربّما لا يروق لي."

-" نعم، يمكنني أن أشترى كلّ شيء بالمال إلا العلم، هكذا قال لى أبى حين حصلت على الثّانوية العامّة كنت أرغــب فى الألتحاق بإحدى الجامعات الخاصّة ،ورفض وحرمنى من أهمّ و أغلى أحلامي ،و لم أسامحه إلّا يوم وفاته.. قلتها له حين ألقيت عليه آخر نظرة."

"أنا أعرف الحقيقة يا "عادل"... أعلم أنّ طلاقنا لم يكــن لسبب سوى عشقك لبذلتك العسكرية.. فى بلادنا يــستحيل لقاء السّلطة و المعارضة، كان خالي قد انتمى بعد زواجنا بفترة للجماعة المحظورة، دفعت أنا ثمن ذنب لم أقترفه..حمّلتنى لقــب "مطلّقة"، لتحمّل كتفك نجومًا أكثر!!."

-"كم أشفق على "كرمة" يا "آمال" كنت ألاحظ اهتمامها الزّائد بملابسها، كنت أستغرب ما ترتديه من ملابس و حلــي باهظة الثّمن ،وهي ذاهبة لتخليص بعــض الأوراق الحكوميــة ،لكنّى أقنعت نفسي بأنّ تلك مسألة شخصية ، لم يخطر ببالي و لو للحظة أنّها تعانى أزمةً حقيقيــة ،وأنهــا تريــد أن تقــول للعالم..أنا هنا.!"

-" لا تصدّقي أنّ الأهل هم فقط مـــن يحـــصدون نتيجـــة تربيتهم بل الأبناء، أنا مثلًا كان والدى مهندسًا زراعيًا يـــسافر أحيانًا كثيرة، أمّي لعبت جميع الأدوار فهي "الأب و الأم"، هى من تعاقب و تسامح. أمّا أبي فكان بالنّسبة لنا أبًا عظيمًـــا..لم يضربنا أبدًا..وجوده في البيت يعني: "ملابس جديدة، خروج و فسحة"، باختصار وجوده يساوى فرحتنا و سعادتنا. لكنّـــه في المقابل لم يكن زوجًا مثاليًا..بل كان دائم التجهّم في وجه أمّي عصبي المزاج، صعب المراس، رغم أنّه نفس الإنـــسان..كـــان ينفصل بشكلٍ مريب إلى شخصين. هذا مـــا أدركتـــه حـــين كبرت، نحن يا "حنين" نرى كلّ يوم الدّنيا بعدسة مختلفة عـــن تلك التي رأينا بها أمس."

***

لأن حياتنا الفانية لا يوجد فيها شئ أبدى، لم تعد علاقـــتي ب"زاكي" كما كانت...ندرة اتصالى بذلك العالم الافتراضـــى قللت فرص اللّقاء بيننا أحاديثنا الطويلة... لم تعد طويلـــة بـــل تحوّلت إلى رسائل مختصرة مكتوبة بحروف من محبّة كلّ عـــدّة أسابيع، يظل صوت "كريمـــة صـــقلى" ،وأنغـــام الموســـيقى الصّوفية...خيطًا لا ينقطع بيننا.

***

جئتُ قُبَيْل ميعادي
فلم يَظْهَرْ ملاكٌ واحدٌ ليقول لي:
((ماذا فعلتَ، هناك، في الدنيا؟))
ولم أسمع هُتَافَ الطيِّبينَ، ولا
أنينَ الخاطئينَ، أنا وحيدٌ في البياض،
أنا وحيدُ...
لا شيء يُوجعُني على باب القيامة
لا الزّمانُ ولا العواطفُ[4]

يمرُّ الوقت دون أن تدركه "حنين"، آخر ما يربطها بالحياة قناع على وجهها يوصل لرئتيها الأكسجين، وعدّة أسلاك مثبّتة بعناية على باقي جسدها موصّلة بالأجهزة الطبيّة التي تغيَّر صوتها فجأة ليصبح رتيبًا.

هرع الجميع إليها..

فشعرت بتلك الطاقة الكهربائية تسري في جسدها من جديد، انتفض قلبها ،ثمّ عاد ذلك الصّوت الذي يملأ أركان غرفتها منذ ستّة أشهر، تمامًا كما كان.

***

تمّت

[4] محمود درويش